

الفصل الخامس

الإعلام..

الركيزة الرئيسية في قوة الدولة

العناصر:

- ١- قوة الإعلام.
- ٢- الإعلام والتكنولوجيا.
 - أ - الإعلام والدور الرقابي.
 - ب- الإعلام والحروب والنزاعات.
 - ج- الإعلام والتنمية والتحديث.

obeikandi.com

الفصل الخامس

الإعلام.. الركيزة الرئيسية في قوة الدولة

١- قوة الإعلام:

لا توجد دولة من دول العالم في عالمنا المعاصر إلا وهى علي دراية بالآثر الذى يعكسه الإعلام علي قوة الدولة، فكم من دولة خسرت قضايا عادلة بسبب عدم إعطاء قضاياها القدر الكافى من الدعاية والإعلام، إما بسبب قصور وسائلها فى شرح ذلك الحق أمام الرأى العام المحلى والإقليمى والعالمى، أو نتيجة عدم وجود تخطيط إعلامى مسبق يستوعب جميع الاحتمالات التى قد تطرأ علي القضايا التى تمس مصالح تلك الدولة، أو لعدم وجود كفاءات إعلامية قادرة علي القيام بذلك التخطيط وتنفيذه بسبب رتابة الإجراءات الإدارية أو العجز المالى... ، وكم من دولة نالت ما تتمنى أو ربما جارت علي حقوق غيرها من الدول بسبب استخدامها للسلاح الإعلامى.

وقد ازدادت أهمية الإعلام مع بزوغ الألفية الثالثة، بعد أن شهد العالم مرحلة مهمة من تطور البشرية تمثلت فى العولمة أو الكونية، وذلك الترابط الشديد والتداخل بين مختلف الأنشطة الحياتية خاصة ما

يتعلق منها بالجانب الاقتصادي والثقافي والسياسي والأمني، الأمر الذي أدى إلى زيادة عدد القضايا والمشاكل والاهتمامات التي تعرضها وسائل الإعلام بشكل يومي، وهو ما يعني ازدياد أهمية الإعلام والمعلومات كعنصر حاسم في إدارة المجتمع والدولة، وفي القدرة على تحقيق الأهداف ومواجهة التحديات المحلية والخارجية في عالمنا المعاصر.

وأصبح حجم المخاطر التي تتعرض لها الدول أو الفرص المتاحة لحل تلك المشاكل يرتبط بمدى إمكانية توافر المعلومات الدقيقة والمرتبطة بالموضوع وبالسرعة المطلوبة، مما يستدعي وجود قنوات مفتوحة تسمح بتدفق المعلومات التي يعد توافرها شرطاً رئيساً لمعرفة مدى النجاح أو الإخفاق، ومدى الرشد أو الإخفاق في عملية صنع القرار، ومن هنا تتضح أهمية الإعلام ووسائل الاتصال المعاصرة والمبادئ الأساسية التي تتحكم فيها والقواعد المنظمة لها في هذا العالم الجديد. والتطور المهم في هذا المجال هو أن عالمية التفاعلات وانسياب المعلومات عبر أنحاء المعمورة أدت إلى تقليص الحدود بين الدول والقارات، وإلى سقوط الجغرافيا كعنصر مؤثر على حجم التفاعلات بينها بحيث أصبح التنبؤ الذي طرح في نهاية الستينيات عن القرية الكونية يكاد يكون حقيقة واقعة.

ومن مظاهر عالمية التفاعلات ازدياد الصلة بين الدول وأسواق المال وتفاعلات الرأي العام وتأثير ما يحدث في إحداها على غيرها ومعايشتها لها.. ومن مظاهرها أيضاً انتقال الأخبار والمعلومات والأحداث لحظة حدوثها، وكذلك التداخل المتزايد الذي حدث بفعل

المعلومات أيضا في مجال الاتصالات اللاسلكية والحاسبات الآلية والنشر وأنشطة الإعلان والترويج.

هذه التطورات في الاتصالات التي فاقت كل التوقعات العلمية جعلت من الإعلام قوة لا تقل أهمية عن القوة العسكرية، وأصبح العالم يحسب له حسابات دقيقة لتأثيره علي الرأي العام من جهة، وما يمكن أن يحدثه من تفاعلات تخطت حدود الدول إلي المستوى الدولي من جهة أخرى. وجعلت حتي من الرقابة الإعلامية والدينية والسياسية والأخلاقية التي كانت الدول تستطيع بواسطتها التحكم فيما ينشر ويبحث من نافع أو ضار تطبق في حدودها الدنيا، كما أنها لم تعد أيضا ذات قيمة ومعني حتي لو نفذت محليا لأن ما يمكن منعه وحظره محليا يمكن أن يجد طريقه عبر الفضاء أو الأثير أو الإنترنت أو البريد الإلكتروني خارجا عن أية سلطة رقابية، وهو الأمر الذي مكن الجماعات المقهورة في بعض المجتمعات من نشر معاناتها للعالم أجمع، ومكن دولا ذات مصلحة وقوة إعلامية - في المقابل - من تضخيم الخلافات التي تحدث في الدول المعادية لها واستغلالها كمادة دعائية ضدها وللتشهير بسجلها، ومن ناحية أخرى فقد مكن ذلك جماعات ذات انحراف فكري وعقائدي وأخلاقي من أن تجد في ذلك وسيلة لنشر ما تريد من أدبيات وأفكار بعيدا عن وسائل الرقابة التقليدية.

كل ذلك أدي إلي تراجع سلطة الدولة السياسية وكذلك الاجتماعية وقلص السيطرة التي كانت مفروضة علي الاتجاهات والأحزاب السياسية والجماعات الفكرية، وحل محلها بدائل كثيرة أكثر فاعلية وهيمنة وتأثيرا مثل آليات ومؤسسات الرأي العام الكبرى والإعلام

الفصل الخامس: الإعلام.. الركيزة الرئيسية في قوة الدولة
المرئى والمسموع حيث أصبح الإعلام الأكثر نفوذاً وفعالية بل وسطوة،
مما أدى إلي تحالف نخب سياسة مع نخب الإعلام.

هذه التحولات الكبيرة بإيجابياتها وسلبياتها جعلت من الإعلام قوة
جديدة من المستحيل إغفال تأثيرها أو تجنبها، بل تحتم علي الدول البحث
والدراسة لإيجاد وسيلة فعالة ومناسبة للاستفادة منها وتحويلها إلي شرح
قضاياها وخدمتها والترويج لسياساتها وتوجهاتها الاقتصادية والثقافية
وحجز مكان لها - ولو صغيراً - بين دول العالم يخدمها في التعريف
بإنجازاتها، وهذا ما بدأت الدول الصناعية المتقدمة باستغلاله، وتنبهت
إليه أيضاً بعض دول العالم الثالث وتحاول مواكبته، وإن كان بخطى
متأرجحة لا تتناسب مع سرعة الاتصالات والتفاعلات الحياتية التى
تسود العالم اليوم^(١).

٢- الإعلام والتكنولوجيا:

مكنت التكنولوجيا الحديثة من تحويل البرامج التلفزيونية والأفلام
السينمائية إلي مجموعة من الإشارات السرقمية التى يمكن نقلها من
مكان إلي آخر بسرعة فائقة داخل الدولة نفسها أو خارجها أو عبر
الحدود .. كما مكنت التكنولوجيا الحديثة من نقل المجالات والجرائد
والإعلانات والكتب والموسيقى عبر أنحاء العالم فى ثوان معدودة.

وقدمت التكنولوجيا الإعلامية خدماتها لأجهزة الاستخبارات عن
طريق تزويدها بالمعلومات المهمة والضرورية، وهناك خطوط اتصال

(١) محمد عبد القادر حاتم - الإعلام والدعاية نظريات وتجارب - مكتبة الأنجلو
المصرية - القاهرة - ١٩٧٢ - ص ١١٨ - ١٧٣.

مباشرة في بعض الدول، سواء دول القوة منها أو دول الضعف، بين هذه الأجهزة وبين إدارات خاصة داخل أجهزة الإعلام تعمل كأجهزة ربط بين أجهزة الاستخبارات وبينها، تمدها بكل معلومة محلية أو خارجية، كما تمدها أولاً بأول بمواقف واتجاهات الرأي العام من خلال أجهزة قياس الرأي العام، وهذه الأدوات موجودة داخل بعض الأجهزة الإعلامية ويشرف عليها مختصون في هذا المجال.

وترتقى هذه الوسائل الإعلامية بارتقاء الدولة وبتفوق قدراتها التكنولوجية المطرد، بإبداعها التكنولوجي الإعلامي، لذلك تشهد دول القوة تسابقاً صاعقاً في سبيل التفوق التكنولوجي الإعلامي بينما تشهد دول الضعف العكس من ذلك.

وللتكنولوجيا ميزتها من حيث الانتشار، وهذه الميزة ما تزال في دول العالم الثالث استهلاكية أكثر مما هي إنتاجية إلا في بعضها الذي يعد علي الأصابع. فتكنولوجيا الكمبيوتر الإعلامية هي الأقدر علي الانتشار السريع وإذا ما قيل إن دولة الغد هي الدولة الإعلامية فإن ذلك يعني في بعض جوانبه أنها ستكون دولة الكمبيوتر. إن ذلك التطور التكنولوجي ساهم في صناعة الدولة الإعلامية الإلكترونية، وهذا ما تسيطر عليه الدول الصناعية المتقدمة، وللحاق بهذه الدول عملية عسيرة أمام الدول الآخذة في التطور الصناعي حديثاً، ولكنها مهمة ليست مستحيلة، وهناك دول مثل سنغافورة وكوريا الجنوبية وتايوان وهونج كونج والبرازيل استطاعت أن تخترق ذلك الحصار والهيمنة من الدول الغربية، واستدركت الخلل القائم بينها وبين الدول المتقدمة ودعت لنظام إعلامي ودولي متكافئ بالرغم من المقاومة الضارية التي تلقاها

تلك الدعوة لإحساس الدول المتقدمة أن ذلك الأمر يكسر تفوقها الاحتكاري الإعلامي، وربما يعطي فرصة لدول أخرى مستقبلاً تسعى لكسر هذه الهيمنة التي ستكون بالتأكيد تهديداً لمصالحها ومنافسة لها. ومن ناحية أخرى وعلى وجه العموم فإن الإعلام أثر تأثيراً شديداً في مجالات عديدة منها:

١ - الإعلام والدور الرقابي:

كانت الدول فيما مضى تضع حدوداً تحظر على الإعلام تخطيها، وتراقب ما تنشره وسائله بدقة، سواء كانت تلك الرقابة مبررة أو غير مبررة وكانت درجات تلك الرقابة تختلف من دولة إلى أخرى، طبقاً لنظمها الحاكمة ولدرجة تأثير الخبر أو التعليق أو الصورة المنشورة على سياستها الداخلية والخارجية.

أما اليوم فقد بدأت الأمور تتقلب رأساً على عقب، وأصبح للإعلام - في بعض الدول - اليد الطولي في كثير من الأمور، وبات من الضروري على أية دولة إعادة التوازن بين السلطات وإفساح مكان بينها للسلطة الجديدة المتصاعدة تصاعداً صاروخياً، وهي السلطة الإعلامية.

وباستطلاع وظيفة الإعلام بين وظائف الدولة عبر سلطاتها نجد أن المفترض في السلطة التشريعية أن تكون مختصة بسن القوانين، وأن السلطة التنفيذية تتولي تنفيذها، إضافة لصياغة السياسة العامة للدولة والقوانين والقرارات التنظيمية بعد موافقة أو تصديق السلطة التشريعية وأن السلطة القضائية تتولي الحكم بالعدل بموجب تلك القوانين المشروعة ثم يجيء بعد ذلك دور الإعلام بين هذه السلطات جميعها،

والذى كان فى الماضى يكاد ينحصر فى أحيان كثيرة فى التعريف بنشاطات هذه السلطات الثلاث تعريفا حرا فى النظم الديمقراطية وتعريفا مقيدا فى النظم العسكرية أو الاستبدادية، وذلك بطرق متعددة، بدءا من العرض الموضوعى حتى الدعاية الكاذبة. لكننا نجد أن دور الإعلام قد اختلف فى هذه الأيام وأخذ بعدا أعمق من ذلك، فأصبح يشارك السلطة التشريعية وظيفتها الرقابية مشاركة قد تؤدى إلى حدوث تأثير يفوق تأثير السلطة التشريعية ويشارك السلطة التنفيذية صناعة سياساتها بما ينقده من سياسات أو ما يسبق إلى اقتراحه منها برصده تطور الأحوال الداخلية، ويتعرضه لأحكام القضاء فى بعض الدول.

لقد كان من ثمار التواصل اللحظى والفورى مع جميع دول العالم وانتقال الخبر والصورة فى لحظة واحدة عبر أرجاء العالم أن تمكن المواطنون من معرفة أخبار المسؤولين، فلم يعد بإمكانهم أن يخفوا تحركاتهم عن هذه الأجهزة الإعلامية الكفيلة بإشاعة هذه التحركات، مما أدى إلى كشف الكثير من الخطط والاتصالات السرية بين الدول، بل وأدى إلى تحفظ أولئك السياسيين فى أقوالهم وأفعالهم. ومن جهة أخرى فقد دفع ذلك بعض الأحزاب ورجال السياسة ومراكز القوى إلى التوجه إلى الصحف والمجلات لشرح وجهات نظرهم، أو إلى عقد تحالفات مع بعض أصحابها فى الوقت الذى أدركت فيه قوى أخرى غير مسئولة أو مغرصة أهمية هذا التحالف وحاولت التسلل إلى المواقع الإعلامية بشكل مباشر أو غير مباشر عبر وكلاء مأجورين استغلوا هذه المهنة السامية لأغراض شخصية.

وتشير أكثر الإحصائيات الدولية التي أجريت علي مجموعات شتي من الأفراد في مختلف دول العالم أن متوسط الساعات التي يقضيها المواطن ما بين قراءة أو مشاهدة أو إصغاء للبرامج الإعلامية يتراوح يوميا بين سبع وتسع ساعات. ويتم ذلك باختياره دون ممارسة أية ضغوط عليه من قبل أحد، فهل هناك مقارنة بين هذه السلطة والسلطات الأخرى في الدولة؟ وكم ساعة يعطيها الفرد للسلطات الأخرى طواعية ودون إكراه، وباقتناع كامل؟ بل إن متابعة وسائل الإعلام المختلفة من قبل شعوب دول الضعف قد تزيد علي متابعة تلك الوسائل من قبل شعوب دول القوة، وذلك لوجود ذلك الفراغ الكبير وتدني الإنتاجية ومحدودية ساعات العمل. وربما يكون الفرق بين المشدودين إلي متابعة وسائل الإعلام في الدول المتقدمة والدول المتخلفة هو نوعية البرامج والموضوعات التي يركز الناس علي متابعتها، مشاهدة، أو مطالعة، أو إصغاء، سواء كانت تلك البرامج علمية أو ثقافية أو ترويحية، أو ضارة أو نافعة^(١).

ب- الإعلام والحروب والنزاعات:

كان للإعلام - دون شك - أثره القوي في كل التغييرات السياسية التي حدثت مؤخراً في كل أنحاء الكرة الأرضية كذلك التي حدثت في الاتحاد السوفيتي السابق وفي يوغسلافيا وألمانيا وغيرها من دول الشرق والغرب وقد أثبت الإعلام على الصعيد الدولي مع بداية القرن

(١) د. علي عواد - الدعاية والرأي العام - مؤسسة نزية تركي للطباعة - بيروت -

١٩٩٣ - ص ١٠١ - ١٠٣.

الواحد والعشرين أنه إمبراطورية قائمة بذاتها تستطيع أن تغير كل الموازين وتؤثر في القوي من خلال الكتابة وتبادل المعرفة وتنوع الآراء والأفكار المنقولة عبر وسائله المتعددة كالصحافة والإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح والأدوات الثقافية والتعليمية، والدعاية والإعلان والندوات والمهرجانات، ووكالات الأنباء والكتب وسائر المنشورات علي اختلاف أنواعها ودرجاتها، بل تغلغل في حياتنا اليومية حتي أصبح - دون مبالغة - الموجه القوي لكل شيء.

ويكفي أن نعرف أن مئات الملايين من المشاهدين رأوا عبر الأثير معظم الأحداث السياسية التي وقعت في نهاية القرن العشرين، وأن الإعلام عاش بل ساهم في ولادة ونهاية حروب وأزمات دولية بدءا من الحرب الباردة إنتقالا إلى الحروب العربية الإسرائيلية مروراً بالحرب العراقية الإيرانية وحرب الخليج وانهايار المعسكر الشيوعي وحرب البلقان بين قوات التحالف ويوغسلافيا في البوسنة والهرسك والفظائع الإنسانية التي ارتكبت وانتهاء بالحرب الروسية الشيشانية. ويكفي أن نعرف أن الجزء الأكبر مما يوجه الإنسان فيما يتبنى من أفكار أو عادات أو اتجاهات، بل فيما يختار لياكل ويشرب ويلبس إنما يتم نتيجة استجابة لإعلام أو دعاية أو إعلان كل ذلك لنذكر مدي أهمية هذه المملكة الاقتصادية - الصناعية التجارية الجبارة.

لقد تخطي الإعلام بكل فروعه وأنواعه كل النظريات بعد أن أصبح يقع في القلب من كل مجتمع . وبلغ تأثيره علي العقول شأنا عظيما في المجتمعات الحديثة، حتي أنه يصعب بل يستحيل إنكار أن الإعلام

يؤثر علي تحديد الخيارات الشعبية العامة وعلي تحديد مواقف وأعمال الحكومات نفسها، وتوجيهها نحو الحرب أو السلام.

وقد برزت خلال الحرب التي دارت في يوغسلافيا حقيقة مهمة وهي أنه إذا كانت القوات الصربية تقصف المدنيين الألبان العزل وترتكب مذابحها بدم بارد، فإن فرص هروبها من القصف الإعلامي تكاد تكون معدومة، فقد سلط الإعلام أضواءه عليها وصاحب العائلات الألبانية المهاجرة إلي أي مكان تلجأ إليه، ورافقها في رحلاتها الطويلة وهي تحاول الهرب من المذابح البشعة وقصف المدافع المتوالي الذي لا يرحم. واستمرت وسائل الإعلام في نقلها -ساعة بساعة- صور ومشاهد القصف والمذابح وجرائم القتل الجماعية التي تثير الرعب والخوف، وتبث الهلع في نفوس الكبار والصغار.

إن ما حدث في يوغسلافيا يعتبر نموذجاً بشعاً لما يمكن أن يحدث في أي حرب، خاصة تلك الحرب الأهلية والعرقية التي عبر عنها السلوك الصربي اللإنساني، وتكرر هذا النموذج من النقل الحي في أفريقيا وفي الشيشان وفي مواطن كثيرة من العالم. وقد شوهد هذا النموذج قبل ذلك في جنوب شرق آسيا وفي البوسنة .. وإذا كانت الحروب الأهلية تنشب عادة بين جماعات عرقية أو دينية أو مذهبية متجاورة، فإن في العالم اليوم ٣٥٠٠ مجموعة بشرية تعتبر كل منها نفسها أمة بينما يبلغ عدد الدول ١٨٠ دولة فقط، وفي الإتحاد السوفيتي السابق وحده ١٢٥ صراعا عقائديا، اتخذ ٢٥ صراعا منها حتي الآن طابع الصراع الدموي المسلح، بينما تنتظر حروب عرقية أخرى دورها

لتطفوا علي السطح، ولنا أن نتخيل ما الذي يمكن أن يحدث لو لا فضح وسائل الإعلام لنتائج تلك الحروب المحلية.

وتعتبر القرارات الصادرة لإدارة الصراع في أية دولة من القرارات المصيرية، بمعنى أنه يترتب علي نجاحها تحقيق إنجاز ضخم كثيرا ما يمتد إلي الأجيال القادمة - ويترتب علي فشلها تدمير شامل وهلاك آلاف الأرواح، مما يؤدي إلي آثار ضارة قد تمتد إلي الأجيال اللاحقة.

وإلي جانب العناصر السياسية والعسكرية والاقتصادية التي تعد من الأدوات الرئيسية في إدارة الصراع، يدخل الإعلام الدولي بوسائله ومؤسساته المتعددة كعنصر مهم ومؤثر في هذا المجال، لاسيما وأن هذا الإعلام يسعى إلي التأثير في جماهير الدول الأخرى المستقبلية للرسالة الإعلامية عن طريق نقل عناصر القوة التي يتمتع بها طرفا الصراع ويضعها في قالب إعلامي ملائم، أخذا في الحسبان تضارب رؤى المتلقين لتلك الرسالة الإعلامية.. وهكذا يساهم الإعلام الدولي في نقل كيفية إدارة الصراع من جانب الطرف المعنى في مواجهة الطرف الآخر.. وكلما كانت هذه الإدارة قوية، كلما ساعد ذلك الإعلام علي تدعيم موقف الدولة في إدارتها للصراع الدولي. فهناك إذن قوتان، الأولى هي القدرة علي إدارة الصراع بأدواتها المتعددة والقوة الثانية هي الإعلام، وكلما كانت إدارة الصراع ضعيفة أضعفت معها قوة الإعلام المصاحب لها، لأن ذلك الضعف ينعكس علي الإعلام حتي لو تمتع ذلك الإعلام بالقوة في حد ذاته.

إلى جانب ذلك يقوم الإعلام بإمداد إدارة الصراع (العسكري - الاقتصادي - السياسي) بكم وافر من المعلومات التي تتعلق بطبيعة ونوع وأبعاد هذه الصراعات، بما يملكه من وسائل إعلامية داخلية وخارجية قادرة علي بث الرسائل الإعلامية المصممة بعناية فائقة، وإيراز التمكن من إدارة الصراع الدائر، بما يقنع مستقبل الرسالة الإعلامية بوجهة النظر المطروحة، وبما ينعكس إيجابا علي القضية التي يدور الصراع بصدها^(١).

وقد بادرت الولايات المتحدة الأمريكية إلي الاستفادة من هذا الأسلوب إدراكا منها بخطورة الثورة الإتصالية الحديثة وأهمية مسابرتها، ففي أكتوبر ١٩٩٩ أقدمت الولايات المتحدة الأمريكية علي خطوة هي الأولى من نوعها علي صعيد العالم تمثلت في إغلاق وكالة الإعلام الرسمية "وزارة الإعلام" ودمجها مع وزارة الخارجية، وجاء هذا الدمج نتيجة اتفاق بين الحكومة الأمريكية والكونغرس لإدراكهما بأن الاتصالات العامة والمناقشة والإقناع تعتبر أمورا حيوية لتنفيذ السياسة الخارجية، وذلك لأن الدبلوماسية باتت ترتدي وجهها عاما مكشوفاً، وأن الاتصالات عن طريق الأقمار الصناعية والإنترنت حدثت من القدرة علي صنع السياسة خلف الأبواب المغلقة.

كان هدف الحكومة الأمريكية والكونغرس من هذه الخطوة هو صياغة السياسة الخارجية والترويج لأهدافها في وقت مبكر قبل إقرارها وذلك عبر حوار عام، مما يعنى إضافة أدوات الاتصال العام العلنى إلي

(١) د. علي عواد - الدعاية والرأي العام - المصدر السابق - ص ١٠٨.

كثير من الأدوات الدبلوماسية المألوفة المتوافرة، ويعنى ذلك أيضا وضع خطط مسبقة لتهيئة الشعب الأمريكي والشعوب الأخرى وأصحاب القرار السياسى فى الخارج بملامح السياسة الأمريكية، ومن ثم التأثير عليهم فى نفس الوقت الذى تصاغ فيه السياسة الخارجية، لأنه أصبح من الصعوبة بمكان صياغة دبلوماسية عامة بعد اتخاذ قرار سياسى.

ويؤكد هذا التوجه الجديد للإدارة الأمريكية مدى حاجتها إلى دبلوماسية علنية عامة تواكب تطبيق السياسة لا أن تكون نتيجة لها، ففي عصر المعلومات يعتمد نجاح إدارة العلاقات الخارجية فى أية دولة على قدرتها على شرح أهدافها وقيمها لعالم غالبا ما تتنابى الشكوك حيال بعضه البعض.

ولكى يكون هناك تأثير عام فى الخارج، فإن وزارة الخارجية الأمريكية تركز على تفوقها فى مجال المعلومات وذلك بإرسال رسائل شديدة التأثير تسعى من خلالها إلى استغلال التكنولوجيا والمناهج المتاحة استغلالا تاما لشرح وجهات نظرها فى القضايا التى تتبناها^(١).

ج- الإعلام والتنمية والتحديث:

تقوم وسائل الإعلام المختلفة بدور مهم فى تنمية المجتمعات، سواء المجتمعات التقليدية أو النامية أو المجتمعات الانتقالية أو المجتمعات الحديثة أو المتقدمة، وذلك على الرغم من وجود فروق رئيسة لدور الإعلام فى هذه الدول وفقا لطبيعة هذه المجتمعات واحتياجاتها الإعلامية.

(١) مجلة الطليعة - إعادة تعريف الدبلوماسية - ١٣/١٠/١٩٩٩ - ص ١٥ - الكويت.

وتتبع تلك الفروق الجوهرية بين المجتمعات التقليدية والحديثة بسبب خضوع التنظيم الاجتماعي العصري لمعايير حضرية حديثة تكون عادة أكثر تقدما من الناحية التكنولوجية، وأكثر انفتاحا علي العالم الخارجى وأكثر انغماسا فى قضايا التعليم، وأكثر واقعية فى التفكير، وأكثر دقة فى التعبير . ومع تفاقم المشكلات الاجتماعية التى تعاني منها المجتمعات المتقدمة أو النامية يتبين صعوبة الدور المطلوب من وسائل الإعلام فى مثل هذه المجتمعات لأن الاحتياجات الإعلامية للمجتمعات التقليدية والانتقالية والدول النامية تختلف عن الاحتياجات الإعلامية للمجتمعات المتحضرة والدول المتقدمة، وتواجه الدول النامية علي وجه الخصوص مشكلات عديدة تحتم أن يلعب الإعلام دورا رئيسا فى مواجهتها إذا أحسن تكيف برامجها وتطويرها للتكامل مع الأساليب والسياسات الوطنية الأخرى.

وليس المقصود هنا ازدياد كم الوسائل الإعلامية وانتشارها، ولكن العبرة الأساسية فى التحديد الواعى والمنقذ للدور الوطنى المهم الذى يمكن أن تؤديه وسائل الإعلام فى التنمية الوطنية واستخدام هذه الوسائل استخداما إيجابيا صحيحا لتحقيق الأهداف المرجوة، وذلك لأن التنمية الوطنية فى المجتمعات النامية تحتاج إلى مجموعة من المتطلبات التربوية الوطنية، وتستلزم ضرورة المشاركة من جانب جميع أفراد المجتمع، وخلق روح المشاركة التى تتطلب إرساء وتدعيم مجموعة من القيم التربوية فى نفوس المواطنين كافة لمواكبة عملية التغيير الاجتماعى، وهذا ما يمكن للوسائل الإعلامية الهادفة والمبنية علي أسس علمية دقيقة أن تقدمه للمجتمع.

وكما يلعب الإعلام دوراً مهماً في التنمية، فإنه يلعب دوراً أكثر قوة في التحديث، إذ بإمكانه أن يؤدي وظيفته كجزء من المجهود الوطني في سبيل تحقيق المهمة الكبرى، وهي مهمة التحديث. فوسائل الإعلام هي الوسيط الأساسي بين صناع القرار السياسي والجمهور، حيث تقوم بتعبئة الرأي العام وتهيئته لقبول الأفكار الجديدة والرسائل الحديثة الرزينة دون خلق توترات عرقية أو ثقافية أو خلق إحباطات نفسية.

وعملية التحديث أمر معقد يتطلب معالجة ذات أبعاد متعددة لا تقتصر على المساعدات المالية فحسب، إذ أن التفكير في التحديث بالمقاييس الاقتصادية وحدها، يعد نظرة مبسطة للأمور ولا يؤدي إلى نتيجة، وبالتالي فإن العمل الأساسي للإعلام هو رسم الإطار السياسي الثابت السليم الذي من خلاله يتم إيجاد بيئة اجتماعية صالحة متجانسة، وتعبئة الاهتمامات المبعثرة للجماهير في هدف قومي واحد، وذلك عن طريق تغيير اتجاهات وسلوكيات أفراد المجتمع نحو الأفضل، وتحقيق التواصل عبر الحواجز القائمة بين ثقافتهم المتعددة التي قد تفرق فيما بينهم. وبناء على ذلك فإن للإعلام وظيفتين متميزتين في هذا المجال، أولاهما تحقيق التكامل بين جميع المواطنين داخل الدولة، وثانيتهما إقناعهم بالمشاركة في مشروعات التنمية القومية^(١).

إن تثقيف الشعوب وإقناعها باتخاذ قرارات التنمية، وكذلك مشاركتها الفعالة في مواكبة التغيرات لا تكون إلا من خلال تدفق إعلامي يحدد لهذه الشعوب الأهداف وكيفية التغيير ومتى يتم التغيير.

(١) جون مارتن وانجور وفر - نظم الإعلام المقارنة - ترجمة علي درويش - الدار

الدولية للنشر - القاهرة ١٩٩١ - ص ٢٦٥ - ٢٧٢.

وذلك يتم من خلال مساهمة وسائل الإعلام بقدر ملموس فى إمداد الشعوب بالمعلومات المتنوعة، مع شىء من التركيز علي ضرورات التنمية والتحديث وتوضيح أهدافها.

ويتيح الإعلام فرصة لتوحيد الأمة عن طريق سبل كثيرة غير سياسية فبإمكانه مثلا ترسيخ القيم الروحية والدينية، وتشجيع الفنون والآداب من خلال تقديم العروض الهادفة وتقوية الوشائج الاجتماعية والثقافية بين أفراد المجتمع، أو بينهم وبين أفراد المجتمعات الأخرى، كما يستطيع الإعلام أن يساعد فى إبراز رجال قد يكونون زعماء سياسيين فى المستقبل عن طريق عرض برامجهم الانتخابية وأفكارهم التى يجتذبون بها اهتمام الجماهير من خلال إثارتهم لقضاياهم والدفاع عنها.

نخلص من هذا إلي أن الإعلام يعكس الصورة الحقيقية للمجتمع ويسهم فى تنميته، كما يؤدى لخلق الانسجام بين الأفراد أو زيادته، وهى حالة ضرورية فى عملية التحديث. وهو قادر أيضا علي خلق المناخ الضروري للتحديث بإيجاد المكونات الحيوية كالإبتكار وإثارة دوافع الإنجاز والطموحات التعليمية والمهنية باستخدامه بعض الرسائل العلمية لتعليم المهارات الأساسية مثل محو الأمية، بل وبعض المعارف الفنية الأكثر تعقيدا، وهو ما تعمل القنوات العلمية والتعليمية المتخصصة علي بثه فى أوقات مختلفة.

ويعمل الإعلام كذلك بالاشتراك مع غيره من المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية - فى وقت واحد لتحقيق الأهداف الوطنية، فالإعلام إذا استخدم بطريقة صائبة ومقننة يصبح أداة فعالة لتحقيق

التكامل الوطني، والإحساس بالانتماء لوطن واحد بين قبائل مختلفة وجماعات عرقية ودينية في البلد الواحد، إذ لا يمكن أن يكون هناك تطور اقتصادي أو تعليمي في أي بلد دون إثارة مشاعر الولاء للوطن، ودون مشاركة الجماهير في ذلك التطور بصورة متكاملة^(١).

(١) د. محمد نور فرحات - حرية الصحافة والإعلام وبناء الدولة - مجلة الدراسات الإعلامية - القاهرة - العدد ٧٠ يناير - مارس - ١٩٩٣ ص ١٧ - ٢١..